انعكاس الصراع اليعربي البرتغالي على سواحل اليمن خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي

أ.م. د. مها علي عامر آل خشيل

كلية الآداب / جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن – السعودية

الملخص

سيطر البرتغاليون على سواحل المحيط الهندي الإسلامية منذ بداية القرن العاشر الهجري/ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، ثم ضعفت قوتهم مع نهاية القرن التالي؛ ومن العوامل التي أسهمت في إضعاف البرتغاليين ظهور قوة محلية على ساحل عمان هي دولة اليعاربة؛ التي تصدت للبرتغاليين، وتتبعتهم على امتداد سواحل المحيط الهندي بين الهند وشرق أفريقيا. ونتج عن المواجهات العسكرية اليعربية البرتغالية أن دخلت سواحل اليمن ضمن ميادين الصراع بين الطرفين، وتعرضت لهجمات يعربية وبرتغالية متتابعة، وتتناول الدراسة انتقال الصراع إلى سواحل اليمن، وأسبابه، وأساليبه، وآثاره عليها.

وتهدف الدراسة إلى: تحليل أسباب الهجمات اليعربية والبرتغالية على سواحل اليمن، ومناقشة موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للأحداث من هذه الهجمات، وبيان الأساليب التي أُستخدمت في الهجوم، والأساليب التي اتبعها اليمنيون في التصدي له، وإبراز الأثر الذي تركه الصراع اليعربي البرتغالي على سواحل اليمن.

وتعتمد الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، وبُنيت معلوماتها من مصادر متنوعة، أهمها المصادر اليمنية في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. وتكونت الدراسة من مباحث تناولت أسباب استهداف السواحل اليمنية خلال الصراع اليعربي البرتغالي، وأساليب الهجوم على الموانئ والسواحل اليمينة، وأثر الصراع اليعربي البرتغالي على سواحل اليمن، والأساليب التي اتبعها اليمنيون للتصدي لهذه الهجمات، التي لم تتوقف إلا بانسحاب البرتغاليين من المياه العربية مع مطلع القرن التالي الذي شهد كذلك أفول قوة اليعاربة.

The Reflections of the Ya'rubi-Portuguese conflict on the Coasts of Yemen during the Second Half of 17th Century

Asst .Prof. Dr. Maha Ali Amer Alkhashil

College of Arts / University of Princess Noura Riyadh, Saudi Arabia

Abstract

The Portuguese dominated the Islamic coasts of the Indian ocean since the beginning of the 15th century. By the end of the next century, their power started to weaken; Among the reasons which led to their weakness was the emergence of a local power on the coast of Oman, the Ya'rubi State, which struggled against the Portuguese and chased them along the coasts of the Indian Ocean and East Africa.

The military clashes between the Ya'rubi and the Portuguese extended to the coasts of Yemen. And this study focuses on the causes and Impact of that conflict on the Yemen's coasts.

The study aims at analyzing the causes of the attacks of the Ya'rubi and the Portuguese on the coast of Yemen, discusses the positions of Yemeni chronicles towards these attacks, and shows the ways adopted by the Yemeni to face these attacks. Also, to explain the impact of the Ya'rubi-Portuguese conflict on the coasts of Yemen.

The study uses the historical method. Information for the study was obtained from various sources, the most important being the Yemeni sources of the 17th Century.

The study consists of parts: the reasons of the extending of the conflict to Yemeni coasts, the methods of attacking the Yemeni coasts and ports, the impact of this conflict on the coast of Yemen and the ways in which the Yemeni faced these attacks which ended only when the Portuguese withdrew from Arabian waters at the beginning of the next century, which also witnessed the decline of the power of the Ya'rubi State.

المقدمة:

سيطر البرتغاليون على سواحل المحيط الهندي الإسلامية منذ بداية القرن العاشر الهجري / نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، وتوغلوا في الخليج العربي، وأقاموا مراكز عسكرية على سواحله. ثم ضعفت السيطرة البرتغالية مع نهاية القرن التالي؛ نتيجة خضوع البرتغال لأسبانيا خلال الفترة ٩٨٨ – ١٠٧٩هـ/ ١٥٨٠–١٦٦٨ م، وما ترتب عليه من نتائج أثّرت على المصالح البرتغالية خارج أوربا، وشهدت تلك الفترة دخول الهولنديين ثم الإنجليز إلى المحيط الهندي، ومنافستهم للمصالح البرتغالية هناك، مما أفقد البرتغال احتكارها لتجارة الشرق [١].

ومن العوامل التي أسهمت في إضعاف البرتغاليين ظهور قوة محلية على ساحل عمان هي دولة اليعاربة، التي قامت منذ مبايعة الإمام ناصر بن مرشد (١٠٣٤ –١٠٥٩هـ/١٦٢٤–١٦٤٩م) بجهود كبيرة في التصدي العسكري للبرتغاليين، ومهاجمة قواعدهم في ساحل عمان، حتى حُصر الوجود البرتغالي في قلعتي مسقط ومطرح. وخلف الإمام سلطان بن سيف (١٠٥٩ – ١٠٧٩هـ/ ١٦٤٩ –١٦٦٨م) ابن عمه، وواصل مقاومة البرتغاليين حتى سقطت القلاع البرتغالية تدريجياً في يده، وأهمها مسقط التي استردها عام ١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م. وحرص الإمام سلطان على تطوير قوته البحرية، وتمكن من تتبع المراكز البرتغالية على امتداد سواحل المحيط الهندي بين الهند وشرق أفريقيا، ووصلت القوات اليعربية إلى بومباي ١٠٧١هـ/ ١٦٦١م، وديو ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م. وزنجبار ١٠٦٥هـ/١٦٥٥، ومباسا ١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م[٢].

موضوع الدراسة وأهميتها:

نتج عن المواجهات العسكرية اليعربية البرتغالية أن دخلت سواحل اليمن ضمن ميادين الصراع بين الطرفين، وتعرضت لهجمات يعربية وبرتغالية متتابعة، وتتناول

الدراسة هذه الهجمات وأسبابها ونتائجها، وتبرز أهمية الدراسة من خلال تركيزها على انتقال الصراع إلى سواحل اليمن، وأثره عليها.

حدود الدراسة المكانية والزمانية:

تتناول الدراسة تفاصيل الهجمات اليعربية والبرتغالية على سواحل اليمن المطلة على خليج عدن والبحر الأحمر خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

أهداف الدراسة:

١. تحليل أسباب الهجمات اليعربية والبرتغالية على سواحل اليمن.
٢. مناقشة موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للأحداث من هذه الهجمات.
٣. بيان الأساليب التي اُستخدمت في الهجوم، والأساليب التي اتبعها اليمنيون في التصدي له.
٤. إبراز الأثر الذي تركه الصراع اليعربي البرتغالي على سواحل اليمن.

منهج الدراسة ومصادرها:

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، وبُنيت معلوماتها من مصادر متنوعة، أهمها المصادر اليمنية في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، ومن أبرزها:

- الجرموزي، المطهر بن محمد(ت ١٠٧٧هـ/١٦٦٧م) ، **تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار**، دراسة وتحقيق: عبدالحكيم بن عبدالمجيد الهجري، صنعاء، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- ابن القاسم، يحيى بن الحسين (ت ١١٢١هـ/١٧٠٩م) ، **بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، وظهر محققًا في كتابَيْ: يوميات صنعاء في القرن الحادي

عشر، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، أبو ظبي، منشورات المجمع الثقافي، ١٩٩٦م، والأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، تحقيق أمة الغفور عبدالرحمن الأمير، صنعاء، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

- الوزير، عبد الله بن علي (١١٤٧هـ/١٧٣٤م) ، تاريخ اليمن في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، المسمى **تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى**، تحقيق، محمد عبد الرحيم جازم، بيروت، دار المسيرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الدراسات السابقة:

- دراسة ر.ب. سيرجينت، وعنوانها: الأنشطة البحرية العمانية على ساحل الجزيرة العربية الجنوبي في نهاية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، والمنشورة في كتاب: التقاليد وقانون الشريعة في المجتمع العربي.

Serjeant, R. B., Omani Naval Activities off the Southern Arabian Coast in the Late $11^{th}/17^{th}$ Century, from Yemeni Chronicles, in **Customary and Shari'ah Law in Arabian Society** (pp. 77–89), Hampshire, Variorum, 1991.

وعرض الكتاب الهجمات اليعربية خلال السنوات الأخيرة من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي كما ورد ذكرها في مخطوط يمني كُتب في القرن الحادي عشر، وهو من تأليف عبدالله بن علي الوزير المسمّى: تاريخ طبق الحلوى وصحاف المنّ والسلوى، وحققه محمد عبد الرحيم جازم، وطبع عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

وتتفق الدراسة الحالية مع دراسة سيرجنت في اهتمامها بموضوع التعديات اليعربية على سواحل اليمن في تلك الفترة، وتختلف عنها في تحليلها لأسباب تلك

الهجمات، وسعيها لتقديم تفسير موضوعي يوضح طبيعة الظروف السائدة آنذاك، وعلاقتها بالنشاط البرتغالي المعادي في سواحل المنطقة، كما تضيف الدراسة الحالية وصفًا لموقف اليمن من تلك الأحداث، كما تعتمد الدراسة الحالية على مصادر متنوعة بهدف الخروج برأي محايد.

- آل خشيل، مها علي، التعديات البرتغالية على سواحل اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، **الندوة العالمية التاسعة لدراسات تاريخ شبه الجزيرة العربية**، الرياض، مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

وتتفق مع الدراسة الحالية في اهتمامها بالتعديات البرتغالية على سواحل اليمن في تلك الفترة، وتضيف إليها تفصيل موقف اليعاربة من سواحل اليمن، والأسباب التي أدت إلى وصولهم إليها، وأثر الصراع اليعربي البرتغالي على سواحل اليمن، وتناقش موقف المصادر اليمنية من ذلك الصراع.

مسار الدراسة:

اشتملت الدراسة على مقدمة تناولت التعريف بالموضوع، ومصادره، والدراسات السابقة. ثم قُسمت إلى مباحث ، يتضمن الأول منها أسباب استهداف السواحل اليمنية خلال الصراع اليعربي البرتغالي، ويناقش الآراء التي فسّرت اتجاه البرتغاليين واليعاربة نحو سواحل اليمن، وخصص المبحث الثاني لعرض أساليب الهجوم على الموانئ والسواحل اليمينة، ثم بيّن المبحث الثالث أثر الصراع اليعربي البرتغالي على سواحل اليمن، وعرض المبحث الرابع للأساليب التي اتبعها اليمنيون للتصدي لهذه الهجمات. وختمت الدراسة بعرض أهم النتائج، كما ضم الملحق خريطتين توضحان نطاق الدراسة، والمناطق التي ورد ذكرها في ثناياها.

أولًا: أسباب استهداف السواحل اليمنية خلال الصراع اليعربي البرتغالي:

أعطت المصادر المعاصرة للأحداث والمؤلفات التي ظهرت لاحقًا تفسيرات عديدة للأسباب التي أدت إلى وصول البرتغاليين واليعاربة إلى السواحل اليمنية، وستوردها الدراسة، ثم تناقشها بهدف الوصول إلى الأسباب الأقرب إلى السياق التاريخي للأحداث.

أ. البرتغاليون:

ففيما يتعلق بالبرتغاليين، فقد وصلوا إلى المحيط الهندي منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، ومكّنهم تفوقهم العسكري من فرض سيطرتهم العسكرية على سواحله، وأقاموا بها حصونًا عسكرية؛ لإحكام السيطرة على مصادر التجارة الشرقية، ومهاجمة الموانئ والسفن العربية والإسلامية(٣). وكان استهداف سواحل اليمن المطلة على البحر العربي والبحر الأحمر، جزءًا من سياستهم منذ وصولهم إلى المنطقة؛ ففرضت البرتغال حصارًا على السواحل اليمنية، وأغلقت البحر الأحمر، ثم عبر البرتغاليون باب المندب، وتقدموا إلى داخل البحر الأحمر لأول مرة، واستولوا على جزيرة كمران. وكرر البرتغاليون توغلهم في البحر الأحمر، وتمكنوا عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م من مهاجمة جدة(٤)، وفي تلك الفترة امتدت السيادة العثمانية إلى اليمن والبحر الأحمر؛ ليبدأ الصراع المباشر بين العثمانيين والبرتغاليين، الذين لم يتوقف نشاطهم في تلك المياه . وأرسل العثمانيون حملة عسكرية كبيرة إلى اليمن عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م؛ بهدف تثبيت السيطرة العثمانية على السواحل اليمنية، واتخاذ إجراءات تضمن إبعاد البرتغال عن سواحل البحر الأحمر وموانئه، ومنها: منع السفن الأجنبية من التوغل فيه، والقيام بجولات منتظمة في البحر الأحمر، إضافة إلى تدعيم القوات العثمانية في اليمن باستمرار. وعلى الرغم من محدودية النشاط العثماني في اليمن الذي اكتفى بالدفاع؛ إلا أنه أسهم في الحد من نشاط البرتغاليين في البحر الأحمر، وسواحل اليمن(٥).

ضَعُف النشاط البرتغالي في الشرق منذ نهاية القرن العاشر الهجري/ نهاية القرن السادس عشر؛ للأسباب التي سبق بيانها. وعلى الرغم من الضعف الذي عانى منه الوجود البرتغالي في الشرق؛ إلا أن سواحل اليمن قد شهدت تجدداً للنشاط البرتغالي على سواحلها، خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وتفسر أسبابه في ضوء عدة اعتبارات، وهي:

١/ أنه امتداد للممارسات المعادية، التي اتبعها الغزو البرتغالي ضد سواحل البحر الأحمر وباب المندب؛ بهدف السيطرة عليها عسكرياً. وقد تراجع الخطر البرتغالي عن سواحل اليمن بعد استقرار العثمانيين فيها[٦]، ولكن هذا الوضع تغير بعد انسحاب العثمانيين من اليمن عام ١٠٤٥هـ/١٦٣٦م[٧]، فنتج عن انسحابهم فراغ أمني؛ تجدد في ظله النشاط البرتغالي المعادي على سواحل اليمن.

٢/ سعى البرتغاليون للاستيلاء على أكبر قدر من الغنائم والبضائع التجارية من موانئ اليمن؛ وممّا يرجح ذلك، أن المصادر المحلية ذكرت في أكثر من حادثة، تزامن الهجوم البرتغالي مع الموسم التجاري، الذي يشهد مرور السفن التجارية المحملة بالبضائع خلال خليج عدن وباب المندب. فذكر يحيى بن الحسين في سرده لأحداث عام١٠٨١هـ/١٦٧٠م، إشارة عن البرتغاليين الذين أطلق عليهم "الفرنج"، فقال: "اتفق في هذه السنة بشهر محرم منها خروج طائفة الفرنج الملاعين..... وكان منهم هذا الخروج إلى بندر المخا والقصد لبابه، من غير خفا عقب دخول البضاعة الهندية على قلتها إليه، وشروع البيع والشراء فيه. وكان قد ظفروا في بابه قبل الاتصال بجنابه بثلاثة أغربة [٨] أحدها خرج من بندر عدن إلى المخا لأحمد بن الحسن بحراً، وفيه دراهم وهدايا، والآخران من عدن وجهته؛ فانتهبها الفرنج وحازوه واستولوا عليه وقبضوه والبعض منه حرقوه واستهلكوه..."[٩]، وأشار في حوادث عام ١٠٩٧هـ/١٦٨٦م إلى حادثة مماثلة قائلاً:" جاء الخبر أن بعض المراكب لما رجعوا من المخا ووصلوا إلى البحر صادفهم الفرنج ونهبوهم أموالهم..."[١٠].

٣/ فسرت بعض المصادر العدوان البرتغالي على سواحل اليمن، بأنه انتقامٌ من تعاون سكان موانئ اليمن مع اليعاربة، في جهودهم لإخراج البرتغاليين من مياه البحر العربي، وفي ذلك أشار المؤرخ يحيى بن الحسين، إلى أن هجوم البرتغاليين على ميناء المخا في عام ١٠٨١هـ/١٦٧٠م؛ كان بسبب موقف والي المخا الحسن بن مطهر الجرموزي الموالي لليعاربة(١١).

وبدراسة هذه الأسباب، وربطها بطبيعة الغزو البرتغالي للمنطقة، وسلوكه خلال الفترة التي سيطر فيها على المنطقة، يتضح الآتي:

إنَّ **التفسير الأول** لا يتفق مع وضع البرتغاليين في تلك الفترة؛ فالبرتغاليون في بداية وصولهم كان هدفهم تثبيت نفوذهم والسيطرة على سواحل المنطقة، وساعدهم في ذلك تفوقهم العسكري، وتمكنوا من إقامة مراكز عسكرية على سواحل عمان؛ ولكنهم لم يتمكنوا من تأسيس مراكز على سواحل اليمن؛ بسبب الجهود الدفاعية التي قام بها المماليك ثم العثمانيون، وفي منتصف القرن السابع عشر تغيرت الظروف، وضُعف النفوذ البرتغالي في المنطقة، ولم يعد بإمكانه الاستقرار في مراكزه الأولى؛ فضلاً عن قدرته على تأسيس مراكز جديدة(١٢).

أما **التفسير الثاني**، فهو مبني على السلوك الذي مارسه الغزو البرتغالي منذ وصوله إلى المنطقة، وتؤكده الأعمال العدوانية المتكررة، التي استهدفت نهب الموانئ العربية، والاستيلاء على السفن التجارية التي تمر بها، وأكدت المصادر البرتغالية أن البرتغال تبنت ممارسات القرصنة والاحتكار لتثبيت نفوذها في المنطقة(١٣). ومن جهة أخرى، فإن هذا التفسير يرتبط بالقرصنة الأوربية التي نشطت في تلك الفترة على سواحل اليمن؛ بحثًا عن الثروة التي يحصلون عليها من نهب السفن، خاصة السفن التجارية، وسفن الحجاج القادمين من الهند التي كانت محملة بالبضائع والمنتجات الثمينة، وساعد في ذلك التنافس الأوربي الذي احتدم في أوروبا، وامتدت آثاره إلى البحار البعيدة، وكان تشجيع أعمال القرصنة من قبل السلطات الرسمية الأوربية أحد مظاهره(١٤).

وبالنسبة **للتفسير الثالث،** فيرتبط بانعكاسات الصراع اليعربي البرتغالي على المنطقة، فقد عانت السواحل اليمنية من آثار هذا الصراع، وكانت اليمن بحكم موقعها ضمن النطاق الذي يتحرك فيه البرتغاليون بين مواقعهم المنتشرة ما بين الهند وشرق أفريقيا(١٥)؛ وهو السبب الذي ترجح الدراسة أنه كان وراء اتجاه البرتغاليين نحو سواحل اليمن في تلك الفترة.

ب. اليعاربة:

وهم قوة محلية عربية مسلمة، ظهرت على ساحل عمان، وكان لهم دورٌ مهمٌ في طرد البرتغاليين من بحر العرب والمحيط الهندي؛ ومع ذلك دونت المصادر اليمنية تفاصيل عديدة عن هجماتهم على سواحل اليمن، وحملت المعلومات في ثناياها تفسيرات متنوعة لهذه الهجمات، وستستعرض الدراسة أهم هذه التفسيرات، ثم تناقشها، للوقوف على مدى صلاحيتها للاعتماد عليها في توضيح موقف اليعاربة من سواحل اليمن، وهذه التفسيرات جاءت كالآتي:

١/ أنها غارات هدفها الكسب المادي؛ من خلال نهب الموانئ اليمنية والسفن التجارية التي تقصدها، أو فرض الرسوم عليها، ومن الأمثلة على ذلك، ما روته المصادر: من أن هدف السفن القادمة من عمان هو قطع الطريق، وفرض الرسوم على السفن الهندية، التي تهم بالدخول إلى البحر الأحمر(١٦). ووافقهم في هذا التفسير الكثير من الباحثين، وخاصة الأجانب، وبالغ بعضهم فذكر: أن "النهب" و"القرصنة" هي أسلوب حياة سكان الساحل العربي(١٧).

٢/ أن هذه الغارات التي قام بها اليعاربة جاءت بمثابة ردٍّ على توسع الإمام المتوكل على الله إسماعيل إمام اليمن (١٠٥٤- ١٠٨٧هـ/ ١٦٤٤- ١٦٧٦م)، في منطقة شرق حضرموت وحدود ظفار، فتذكر المعلومات أنه جهز في عام ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م حملة إلى حضرموت، وضع في قيادتها ابن أخيه الأمير أحمد بن حسن، وبعد مواجهة عسكرية مع سلطان الدولة الكثيرية بدر بن عبدالله، تمكنت قوات الإمام من السيطرة على المناطق المهمة في داخل حضرموت، إضافة إلى ميناءي الشحر

والمكلّا، وإعادة السلطان بدر بن عمر الكثيري إلى حكم المنطقة بصفته والياً تابعاً للإمام[١٨]. واعتبر بعض الباحثين أن حملة ظفار، ووصول نفوذ الإمام إلى حضرموت قد استفز اليعاربة، فساروا بقوتهم البحرية الكبيرة لمهاجمة الموانئ التابعة للإمام[١٩].

٣/ إنّ هجوم اليعاربة على سواحل اليمن استهدف تتبع التجار الهنود المعروفين بالبانيان[٢٠] والقضاء عليهم، وذكر يحيى بن الحسين عام ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م، وصول أخبار من التجار الواصلين بحراً إلى اليمن، تفيد بأن الإمام سلطان بن سيف اليعربي جهز أسطولاً خرج به إلى البحر، ".... وأن مراده القطع على البانيان في البحر حال خروجهم إلى اليمن من الهند، إذ هم أول من يخرج من هنالك..."، كذلك ما ورد في أحداث عام ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م، حيث ذكر: "... وظهر من حالهم أن قصدهم البانيان من الكفار"[٢١].

٤/ إنّ غارات اليعاربة وصلت اليمن لتتبع البرتغاليين، وذلك يرتبط بسياسة اليعاربة في إبعاد البرتغاليين عن المحيط الهندي، وإفساح المجال من جديد أمام التجارة العربية التي أضعفها الغزو البرتغالي، وكانت سواحل اليمن في تلك الفترة مقصداً لأنشطة البرتغاليين.

وبعد دراسة هذه الأسباب، وربطها بالظروف التاريخية التي جاءت في سياقها، يتضح الآتي :

ففيما **يتعلق بالسبب الأول**، فهو قائم على فرضية تساوي هجمات اليعاربة بأعمال القرصنة، ومن المعروف أن القرصنة تهدف في المقام الأول إلى تحقيق مكاسب مادية؛ من خلال الاعتداء على السفن والموانئ المسالمة، وأكدت المعلومات التي تناولت عمان وتاريخها في تلك الفترة، أنها كانت تعيش فترة ازدهار اقتصادي وتجاري[٢٢]؛ مما يعني أن اليعاربة لم يكونوا بحاجة إلى التكسب غير المشروع بنهب

موانئ اليمن. وبهذا يظهر أن هذا التفسير تفسير ضعيف ولا يمكن القبول به واعتباره سبباً دفع اليعاربة للتوجه نحو سواحل اليمن.

أما **التفسير الثاني**، فيفترض أن النزاع حول ظفار؛ هو ما دفع باليعاربة للانتقام من إمام اليمن ومهاجمة سواحل بلاده؛ ولكن بدراسة تفاصيل قضية ظفار، يتضح أن النزاع حولها لم يستمر ولم يشكل خطرا على اليعاربة، بشكل يتطلب إشغال الإمام وقواته، ولم تكن ظفار تابعة بشكل كامل لليعاربة، ولم تكن هدفاً يسعون للتوسع فيه آنذاك؛ وبالتالي فلا يمكن الركون إلى هذا السبب.

وفيما يتعلق **بالتفسير الثالث**، وهو استهداف التجار البانيان فيمكن النظر إليه في ضوء **التفسير الرابع**، وهو سعي اليعاربة إلى التضييق على البرتغاليين ومن يتعاون معهم من تجار الهند؛ وهو السبب الذي يُرَجّح أنه أدخل التجار البانيان في دائرة الاستهداف اليعربي. فقد اتبع اليعاربة سياسة تلخصت في إبعاد البرتغاليين عن المنطقة، وإفساح المجال من جديد أمام التجارة العربية التي انهارت نتيجة الغزو البرتغالي. وكانت اليمن بحكم موقعها ضمن النطاق الذي يتحرك فيه البرتغاليون، وأكدت المعلومات أن اليعاربة قصدوا سواحل اليمن في إطار تتبعهم للبرتغاليين، ولم يكن هدفهم موانئ اليمن، أو سكانها، أو التجار القاصدين إليها، وجاءت هذه المعلومات من مصادر متنوعة؛ تأتي في مقدمتها المصادر اليمنية، التي أكدت في مواضع عديدة أن اليعاربة كانوا يستهدفون البرتغاليين، ومنها ما أشار إليه يحيى بن الحسين في أحداث عام ١٠٧٨هـ/١٦٦٧م، عن وصول خبر عن تقدم العمانيين نحو باب المندب؛ بهدف التصدي للبرتغاليين، فأوضح ذلك قائلًا: "...فمر عليهم من المسلمين من الهند فلم يتعرضوهم، ثم لما خرج إليهم الفرنج ببضاعتهم يريدون المخا، فوقع بينهم قتال استولوا على بعضهم، وبقوا هناك قرابة ثلاثة أشهر، ثم عادوا إلى بلادهم"[٢٣]. وفي عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م قال: "تعرّض العمانيون بسواحل عدن والمخا، وسدوا باب المخا، وصدوا عن المنتهى، وانتهبوا من بابه ثلاث جلاب كانت واصلة للفرنج في باب فرضة المخا"، وأشار إلى أن والي المخا أرسل يطلب المدد

العسكري من زبيد، ومن المناطق المجاورة؛ "ظنًا أنهم يقصدون المخا، ولم يكن لهم قصد إلا في الفرنج لما بينهم من الحروب..."(٢٤).

ومن جانبهم أكد اليعاربة أن هذه الغارات لا تستهدف الإمام ومناطق نفوذه؛ ومن ذلك ما ورد في رسالتين متبادلتين بين الإمام المتوكل على الله إسماعيل إمام اليمن (١٠٥٤- ١٠٨٧هـ/ ١٦٤٤- ١٦٧٦م)، والإمام سلطان بن سيف اليعربي (١٠٥٩ – ١٠٧٩هـ/ ١٦٤٩ –١٦٦٨م)، لامه فيها الإمام المتوكل على استهداف المخا؛ بينما برر الإمام سلطان موقفه بأن هدفه هو تتبع البرتغاليين حيثما كانوا(٢٥).

كما أشارت المعلومات إلى تعاون حدث في بعض الحالات بين اليعاربة وموانئ اليمن ضد البرتغاليين، ومنها ما ورد بشأن هجوم البرتغاليين على ميناء المخا في عام ١٠٨١هـ/١٦٧٠م؛ وأن سببه هو موقف والي المخا الحسن بن مطهر الجرموزي الموالي لليعاربة، وتقديمه العون لهم في مواجهتهم للبرتغاليين عند المخا في العام السابق، فكان نتيجة ذلك أن تقدم البرتغاليون إلى المخا؛ لإجبار واليها على تقديم تعويضات مادية مقابل الخسارة التي لحقت بهم أمام اليعاربة، ودارت مواجهة عنيفة بين البرتغاليين وسكان المخا، الذين صمدوا بشجاعة رغم تفاوت الإمكانات، فيذكر أن البرتغاليين قد أبلغوا والي المخا أن سبب هجومهم هو : "... ما جرى مع أصحابهم العام الأول في باب المخا من القتال، وما راح عليهم من المال من أصحاب العماني، وعدم دفع صاحب المخا لذلك الفعل الصادر، وأنه كان راضيًا وعليه معينًا..."(٢٦). كما عمل اليعاربة على تقديم معونات عسكرية ومادية لإمام اليمن بهدف تقوية دفاعات المخا لتكون قادرة على التصدي للبرتغاليين ومن ذلك ما ذكره ابن الوزير في أحداث عام ١٠٨١هـ/١٦٧٠م: " وفي هذه الأيام بعث صاحب عمان إلى حاكم المخا بألفي رطل من الرصاص معونة له في دفع الفرتقال..."(٢٧). وهذا يؤكد بأن وصول اليعاربة إلى السواحل اليمنية كان هدفه الأساس هو التصدي للبرتغاليين وإبعادهم عن المنطقة . وترجح الدراسة أن التفسير الرابع، هو الأقرب لطبيعة الظروف التي كانت سائدة آنذاك.

أساليب الهجوم على السواحل اليمنية:

تنوعت الأساليب التي هوجمت بها سواحل اليمن وموانئها في خضم الصراع اليعربي البرتغالي، ووصفت المصادر المعاصرة تلك الأساليب، وتتلخص في الآتي:

١/ الهجوم المباشر على الموانئ، فتهاجم مجموعات من السفن المجهزة بالرجال والأسلحة والمدافع والمؤن، ويتراوح عدد السفن حسب ما أشارت المصادر بين ثلاث إلى عشر سفن. ويقدم مؤرخ معاصر نبذة عن استعدادات البرتغاليين في إحدى هجماتهم على المخا عام ١٠٨١هـ/١٦٧٠م قائلًا: "... وكان من جملتهم قدر سبعة خشب ما بين برشة وغراب، فيها الرجال ومكاحل الرمي، والمدافع والمال، ... وكان كل خشبة من خشبهم فيها بيرق، وعدة الحرب والضرب... مع الأزواد والآلات..."[٢٨]. ويبدأ الهجوم بمحاصرة الميناء، وتهديد السفن الراسية فيه، ومنعها من مغادرته، وفي هذه الحال، قد تتفاوض مع السلطات والتجار في الميناء لدفع فدية لقاء انسحابهم، أو نهب السفن الموجودة، وبعد استهداف السفن الراسية في الموانئ، يبدأ الهجوم على الموانئ نفسها.

٢/ الانتشار في البحر وبث الرعب في المنطقة، وفرض الرسوم الباهظة على السفن العابرة؛ فكانت السفن العابرة لباب المندب عرضة للهجوم، وتجبر السفن على دفع رسوم مقابل المرور، ولذلك كانت السفن التي ترجو السلامة تقبل بدفع المال لقاء مرورها بسلام، وعبّر عن ذلك ابن الوزير في سرده لحوادث ١٠٧٢هـ /١٦٦٢م فقال في حديثه عن البرتغاليين:"... وترسّموا على المراكب الهندية بباب المندب، فأخذوا الإتاوة كما شاءوا، وانفردوا بغضب الله وباءوا، وانتهبوا سفر حضرموت وأرهقوهم الموت..."[٢٩] ، وأكد ذلك ابن الحسين بقوله: "....وترسموا على المراكب الهندية، وأخذوا منهم الدراهم النقدية في باب المندب الذي يقع فيه الحكم على من ذهب" ، وفي عبارة أخرى: "... في نصف رمضان خرج جماعة من الفرنج من سواحل الهند من النصارى في غرابين أو ثلاثة إلى ساحل عدن، فمنعوا المار إلى المخا من التجار والجلاب ...وصدوا المراكب إلى عدن..."[٣٠]. وفي حوادث عام

١٠٩٠هـ/١٦٧٩م: "وصلت المراكب الهندية إلى المخا، فتلقاها العمانيون ورسموا عليها وعشروهم في باب المندب...". وذكر في موضع آخر عن انتشار الأسطول اليعربي في مضيق باب المندب: "...فوصل من أول المراكب الهندية بعضها فمنها ما قبضوه ورسموا عليه، ومنها ما رجع من البحر قبل وصوله، ومنها ما دخل المخا ببذل مال لهم"(٣١).

وفي عام ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م حدثت معارك بحرية بين اليعاربة والبرتغاليين على سواحل عمان، كان النصر فيها إلى جانب البرتغاليين، ووصف مؤرخ يمني انتشار البرتغاليين في البحر بقوله: " ... والفرنج رسوا في البحر، وما زالوا يهيجون فيه ويجولون إلى آخر هذا العام، وكان خروجهم إلى المخا"(٣٢) ووصف آخر انتشارهم بقوله: " ..... وثبت الفرنج في البحر يعوثون أياماً حتى خرج منهم من خرج إلى المخا..."(٣٣).

٣/التمركز في الجزر القريبة من السواحل اليمنية، وأبرزها جزيرة سوقطرة، التي كان موقعها الاستراتيجي عاملاً مهماً شجع كلاً من اليعاربة أو البرتغاليين على تبادل السيطرة عليها، واتخاذها مركزاً لعمليات عسكرية في مياه المنطقة(٣٤).

الأثر الذي تركه الصراع اليعربي البرتغالي على السواحل اليمنية:

أدت سيطرة البرتغاليين على سواحل المنطقة إلى انعدام الأمن، وتهديد السفن العابرة للمياه العربية، ولكن ظهور اليعاربة، ومقاومتهم للبرتغاليين نتج عنه الحد من أخطارهم، وعبر عن ذلك المؤرخ اليمني يحيى بن الحسين حين تحدث عن تهديد التجارة العربية حتى ظهور اليعاربة، فقال في أحداث عامي ١٠٥٢ و١٠٥٤هـ/١٦٤٢ و١٦٤٤م: "خرج جماعة من تجار الحسا والبحرين فلما عارضوا بندر مسكت الذي بيد الفرنج انتهبوهم وقتلوهم فانقطع المار في ذلك البحر الزخار حتى استولى على بندر مسكت العماني، وسلك الناس في البحار وأمنوا فيه من أولئك الكفار الأشرار"، و "يومئذ أمن التجار في البحر الذين يخرجون من البحرين والعراق

والعجم إلى اليمن"[٣٥]. ولكن هذا الأمن لم يستمر؛ فوصول الصراع إلى موانئ اليمن، أدى إلى نتائج سلبية على تلك الموانئ، وسكانها ، خاصة وأن هذه الأحداث دارت خلال سنوات شهدت فيها اليمن أحداثاً سياسية داخلية، وعوامل طبيعية أثرت على حياة الناس، وضاعفت من المشاق التي كانوا يواجهونها[٣٦]، ومن أبرز الآثار:

١/ اختلال الأمن، فأصبحت المنطقة تشكل خطراً كبيراً على السفن التي تعبر خلالها، وأدى انعدام الأمن إلى تهيئة الظروف لنشاط القرصنة الأجنبية، فأصبحت موانئ اليمن وسواحلها مقصداً للقراصنة الأجانب الذين قدموا من أوربا بحثاً عن الثروة، وتصدت لها موانئ اليمن مثل: اللحية، والمخا، وعدن رغم تفاوت الإمكانات[٣٧]. وعبّرت المصادر عن هذا بوصفه بالفساد، ووصف ابن الحسين أنشطة البرتغاليين التي أثرت على الأمن عام ١٠٨١هـ بقوله: "...وحصل للفرنج هذا العام هيجان في البحر عظيم، وسببه تحريك الحاكم العماني لهم، لما غزا بندر الديو العام الأول..."[٣٨].

٢/أصاب الركود الموانئ، وتراجعت وارداتها؛ نتيجة قلة السفن الواصلة إليها، وفرض الرسوم على السفن المارة من البرتغاليين واليعاربة؛ فتراجعت عائدات الموانئ اليمنية، وفي ذلك أشار كل من يحيى بن الحسين قائلاً عن أحداث عام ١٠٧٣هـ/١٦٦٣م: " وفي هذا العام حصل نقص كبير في محصول بندر المخا لأجل عمل الفرنج، وما جرى، ولم يدخله من البز إلا الشيء اليسير". وذكر ابن الوزير عن حوادث العام نفسه:" وفي هذا العام لم يدخل إلى بندر المخا غير يسير من البن؛ بسبب فتنة الفرنج المتقدمة..."[٣٩]، وعن أحداث عام ١٠٧٨هـ/١٦٦٧م، وبعد أن أشار إلى مواجهة عسكرية بين البرتغاليين واليعاربة قرب باب المندب، استطرد بالحديث إلى تردي الأوضاع الاقتصادية بقوله: "... وفي هذه المدة جاور المخا مركب كبير فيه من البز والتفاريق الغالية والمحاسن الفاخرة أشياء كثيرة إلى جهات بندر جدة لعدم اتجاره له في الجهات اليمانية لما ناله من القحط والغلاء الذي لا يعرف في هذه المدة ما إليه المنتهى..."' وعن أحداث عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م قال: " وقد عاد العمانيون

ورجعوا بعدما محقوا في البحر ونهبوا، وضعف موسم هذه السنة بالمخا بهذا الحادث ولما حصل باليمن من القحط في جميع الجهات وسار بعض المراكب إلى جدة"[٤٠]. وقوله: "وقد ضر في البنادر هذه السنين، ومُحِق البيع والشراء للبائعين والمشترين"[٤١].

٣/أدى فرض الحصار البحري؛ إلى منع السفن من الوصول إلى الموانئ اليمنية، وأشار عبد الله بن علي الوزير إلى ذلك، وما حدث في عام ١٠٧٢هـ/١٦٦٢م بقوله: ".... خرج جماعة من شياطين البردقال من سواحل الهند إلى ساحل عدن... وحالوا بين التجار وبندر المخا..."[٤٢]. كما نتج عن الحصار الذي فرضه اليعاربة على باب المندب لترصد البرتغاليين في أحايين عديدة إلى التضييق على الموانئ التي تنقطع عنها التجارة "... ثم منعوا [العمانيين] جميع من وفد في المندب من الهند من مسلم وكافر، فلم يدخل إلى البندرين [يعني عدن والمخا] شيء من ذلك...."[٤٣].

٤/دفعت الظروف غير المستقرة في موانئ اليمن، السفن التجارية لتجاوزها، والسير بالبضائع إلى موانئ البحر الأحمر الأخرى بعيداً عن مناطق الخطر. ومن ذلك ما ذكره ابن الوزير عن حوادث عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م، فبعد أن أشار إلى هجوم برتغالي على المخا، علق بقوله: "...فضعف البندر بسبب هذه الخارجة، وتوجه بعض المراكب إلى جدة...."[٤٤].

٥/سجلت المصادر اليمنية ارتفاع الأسعار في الموانئ، وانقطاع الطريق التجاري بين الخليج العربي والبحر الأحمر. وفي حوادث عام ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م ذكر ابن الحسين أثر ذلك، فقال:"..... وارتفع ثمن البز بسبب ذلك، ولم تخرج الأعبي الحساوي معهم من طريق بحر عمان والخليج العربي؛ لأجل ما قد جرى معهم في السنين الماضية من ذهاب أموالهم من الفرنج بسببهم ومنهم، فلم يخرج هذه السنة من الحسا أحد من طريقهم، وصاروا ساكنين باب المندب، مانعين جميع شهر صفر وربيع الأول والثاني...."[٤٥].

المقاومة اليمنية:

شكل الصراع اليعربي البرتغالي خطراً كبيراً على السواحل اليمنية التي عانت من هجمات متكررة، كانت تُواجه بمقاومة محلية، وتحَمَّل ولاة الموانئ وسكانها الدفاع عنها وحمايتها، والتصدي لهذا الخطر؛ حسب ما توافر لهم من إمكانات. ودونت المصادر تفاصيل متنوعة عن أساليب التصدي لهذه الاعتداءات.

وكانت أخبار تواجد السفن المحاربة، أو اقترابها من المياه اليمنية، تصل من خلال المسافرين عبر البحر؛ وفور وصول هذه الأخبار يستعد أهل الميناء للدفاع، بتحصين الميناء، ومن الأمثلة التي تحدثت عن ذلك ما ذكره ابن الوزير، في أحداث عام ١٠٨١هـ/١٦٧٠م، فقال: " وفيها شمر الهمة حاكم المخا في عمارة القلاع المخاوية، تحرزاً من فعلات الفرنج الملاعين، مع اعتيادهم للوصول في كل حين..."(٤٦). ومن الأمثلة التي تحدثت عن ذلك ما ذكر في أحداث عام ١٠٨٥هـ، من وصول أنباء عن اقتراب الخطر، فاستعد والي عدن السيد أحمد بن الحسن لمواجهتهم، فذكر: ".....في شعبان، اشتغل أحمد بن الحسن بتجهيز عدن ببعض عساكره بعد التجهيز الأول؛ للتحفظ على البندر من طارق يحصل من جهة الحاكم العماني في البحر...."(٤٧).

وحين يتعرض الميناء للهجوم، يبادر الناس للمقاومة، وأوضح ابن الحسين جانباً من هذه المقاومة فيقول عن أحداث هجوم البرتغاليين على ميناء عدن عام ١٠٧٢هـ/١٦٦٢م، ومقاومة أهلها: "...في نصف رمضان خرج جماعة من الفرنج من سواحل الهند من النصارى في غرابين أو ثلاثة إلى ساحل عدن، فمنعوا المار إلى المخا من التجار والجلاب؛ معاندة للسيد زيد بن علي بن جحاف صاحب المخا لما ضاررهم العام الأول ..... فجهز السيد زيد عليهم جماعة من عساكره ومدفعين معهم من مدافعهم...".

ودعماً للموانئ التي تتعرض للخطر، كانت المناطق الأخرى تهب لمساعدتها في دفع المعتدين؛ كما يرسل الميناء الذي يتعرض للهجوم طلب العون والإمدادات من المناطق المجاورة، "... وكتب السيد زيد أيضاً إلى الإمام فجهز الإمام من ضوران ولده عليًّا ومن حضر من العسكر، فساروا إلى المخا...."، وفي حادثة أخرى عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م، ذكر: "...وعجز نائب المخا عن دفعهم، لكثرتهم، وكان قد جلب عليهم بغوائر من زبيد وغيره، واستدعى من الإمام زيادة من العسكر المختارة، فلم يصلوا إلا وقد انفصلوا واتصلوا من الأموال بما اتصلوا..."[٤٨]. وفي بعض الحالات كانت الاستعدادات تكتمل بعد رحيل المهاجمين ومن ذلك ما حدث عام ١٠٧٢هـ/١٦٦٢م، من البرتغاليين الذين جاءوا من الهند، وذكره ابن الحسين بقوله:"...ومر جماعة من حجاج حضرموت فظفر بهم الفرنج وأذاقوهم الفوت، ثم وصل أحمد بن الحسن إلى عدن، وقد عاد الفرنج إلى ديارهم وانصرفوا عن محلهم ومكانهم، فلم يقض من سفره هذا وطراً، ولم يُعرف لهم في البحر خبراً..."[٤٩]. وعن أحداث هجوم البرتغاليين على المخا عام ١٠٨١هـ/١٦٧٠م، وما بذله والي المخا من جهد لمفاوضة البرتغاليين؛ انتظاراً لوصول إمدادات من المناطق المجاورة: "....فوصلت الغارات من زبيد، وموزع، ومن جحاف، بعد أن كان قد انجفل أكثر أهل المخا عنه بأموالهم، ومنهم من دفنها في التراب خشية من الذهاب...". وفي حالات عديدة كانت الموانئ تقبل بدفع الفدية طلباً للسلامة، وهو ما شكل عبئًا على الموانئ وسكانها، وضاعف من خسائرهم المادية[٥٠].

وأشارت المصادر إلى دعم اليعاربة للموانئ اليمنية في بعض السنوات لمواجهة البرتغاليين. فذكر ابن الوزير في أحداث عام ١٠٨١هـ وصول مساعدة إلى حاكم المخا، فقال: " وفي هذه الأيام بعث صاحب عمان إلى حاكم المخا بألفي رطل من الرصاص معونة له في دفع الفرتقال..."[٥١].

الخاتمة :

كان الصراع اليعربي البرتغالي ذا أثر بالغ على سواحل اليمن وسكانها، وتأثرت الأوضاع الأمنية والاقتصادية للموانئ. وعملت الموانئ على الدفاع والتصدي لهذه الآثار، ولكن المقاومة لم تكن ذات أثر كبير في صد المعتدين؛ وذلك لأسباب مختلفة؛ منها اكتمال استعدادات المقاومة بعد رحيل المهاجمين، والتفاوت في القدرات والإمكانات بين الطرفين، وكانت المقاومة ترتبط بحالات الاعتداء، ولم يكن هناك تتبع للمعتدين في عرض البحر؛ بسبب عدم امتلاك الموانئ قوة بحرية مجهزة لمثل هذه الأغراض؛ مما جعل موانئ اليمن معرضة بشكل متكرر للخطر. وفيما يتعلق بالمعونة اليعربية، فلم تكن مستمرة، أما دفع الفدية فكان له أثر محدود في صرف المعتدين إلى حين؛ لكنهم لا يلبثوا أن يعودوا من جديد لتهديد الموانئ. ولم تتوقف هذه التهديدات إلا بانسحاب البرتغاليين من المياه العربية مع مطلع القرن التالي الذي شهد كذلك أفول قوة اليعاربة.

الخريطة رقم (١)

سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية(٥٢)

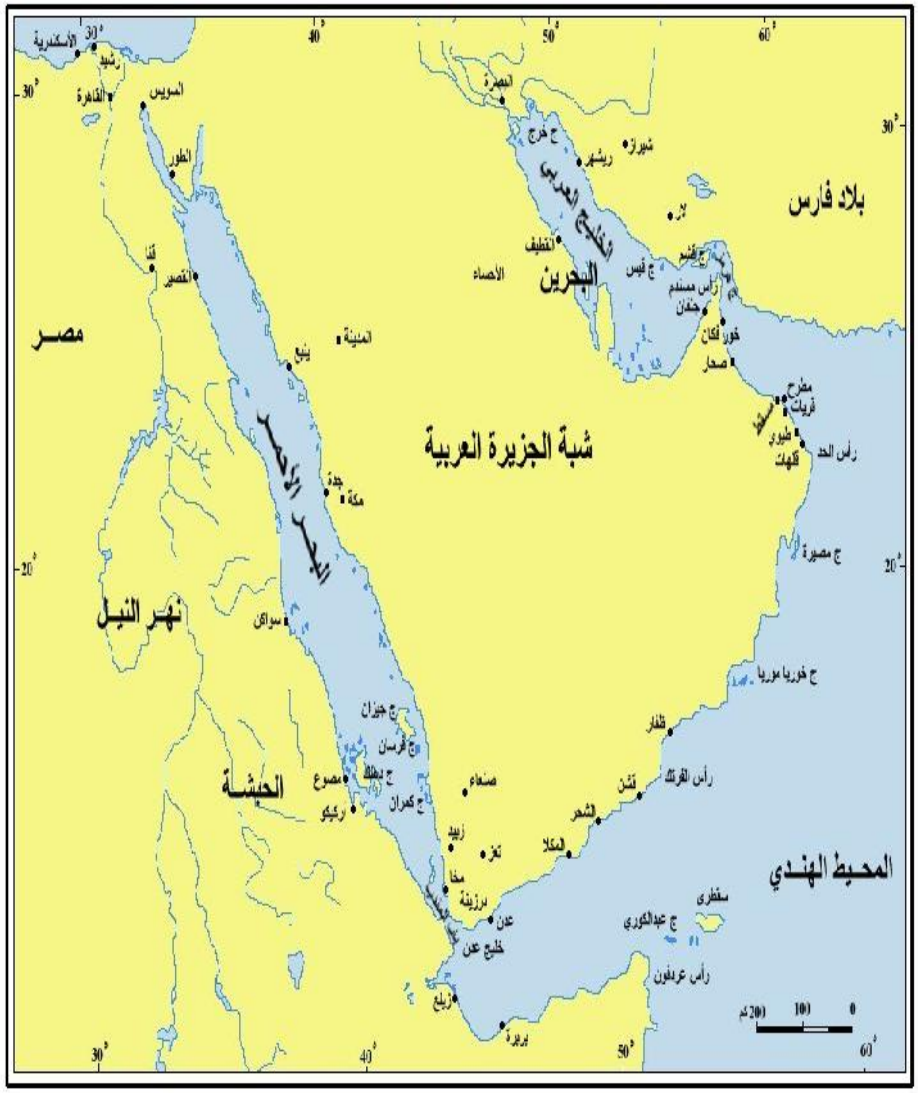

الخريطة رقم (٢)

سواحل المحيط الهندي

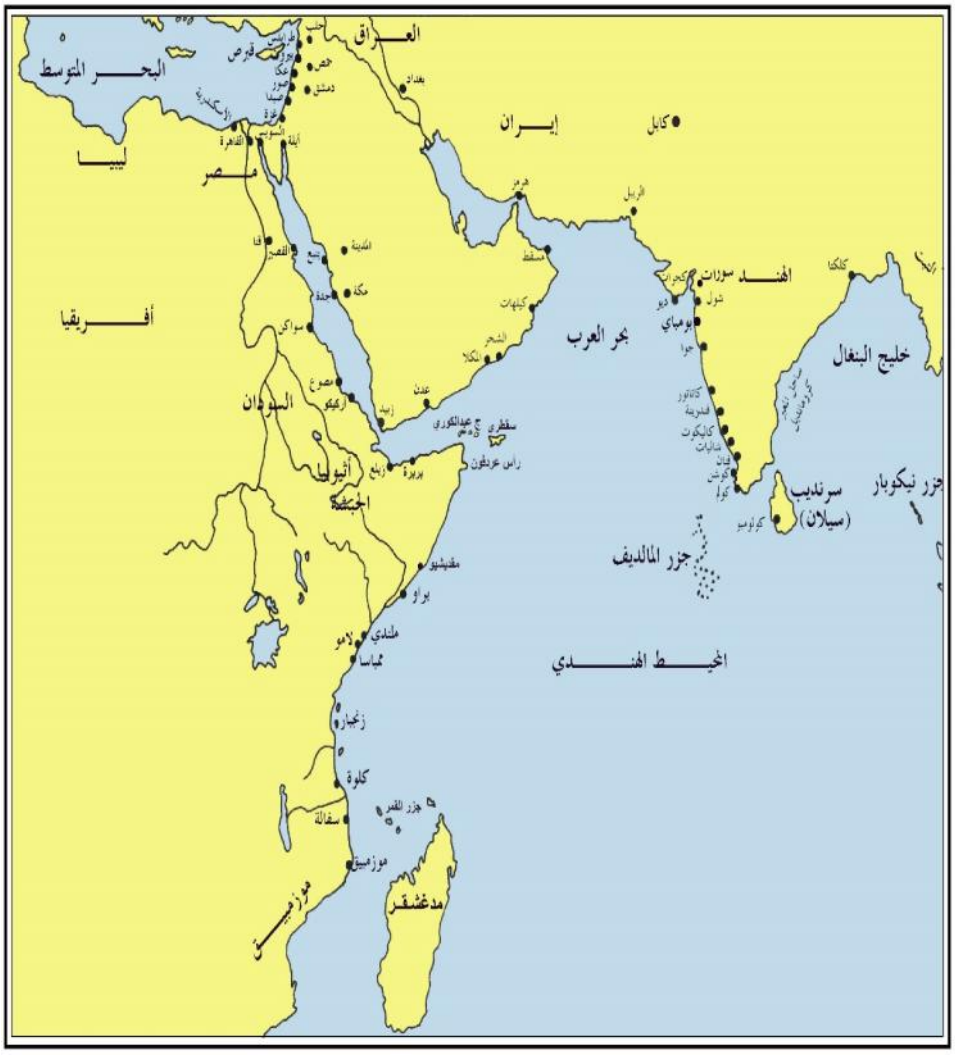

هوامش البحث ومصادره :

(١) قاسم، جمال زكريا، **الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول ١٥٠٧- ١٨٤٠م**، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ت.، ص ص ٩٦-١٠٤. وحاطوم، نور الدين، **تاريخ القرن السابع عشر في أوربة**، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٣٦١-٣٦٢.

(٢) العيدروس، محمد حسن، **دراسات في الخليج والجزيرة العربية**، القاهرة، دار الكتاب الحديث، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، الكتاب الثالث، ص ص ٢٦-٣١. والسعدون، خالد، **مختصر التاريخ السياسي للخليج العربي منذ أقدم حضاراته حتى سنة ١٩٧١م**، الكويت، جداول، ٢٠١٢م، ص ص ١٩١، ص -١٩٤.المعمري، أحمد حمود، **عمان وشرق أفريقيا**، ط٣، ترجمة محمد أمين عبد الله، مسقط، وزارة التراث والثقافة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

(٣) سالم، سيد مصطفى، **الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م**، ط٥، القاهرة، دار الأمين، ١٩٩٩م، ص ٨٠.

(٤) بو شرب، أحمد، **الخليج العربي والبحر الأحمر من خلال وثائق برتغالية ١٥٠٨-١٥٦٨م**، الرياض، كرسي الأمير سلمان بن عبد العزيز للدراسات التاريخية والحضارية للجزيرة العربية، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ٨٦. وص ص ١٣٠-١٧٣، ومن المصادر اليمنية التي أشارت إلى وصول البرتغاليين وقطعهم الطريق وهجومهم على سواحل اليمن: الشلي، محمّد بن أبي بكر، **السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر**، تحقيق: إبراهيم المقحفي، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٠، و ص ٥٦، و ص ٣٠٩.

(٥) سالم، **الفتح العثماني الأول**، ص ص ٩٨- ١١٨ وص ص ٤١٢-٤٤٥ .

(٦) سالم، **الفتح العثماني الأول**، ص ص ٤١٢-٤٤٥. آل عمر، سعيد بن عمر، **الخليج العربي تاريخه السياسي وعلاقاته بدول الشرق والغرب**، الدمام، المؤلف، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج١، ص ١٤٦.

(٧) لم يستتب الأمر للعثمانيين بشكل كامل في اليمن، وانطلقت ضدهم ثورة قادها الإمام القاسم بن محمد، ودخل معارك كثيرة ضد العثمانيين، انتصر في بعضها، وتراجع في أخرى، وتخللت المقاومة اليمنية فترات من الصلح مع العثمانيين، منها صلح عام ١٠٢٨هـ/١٦١٩م، الذي لم يصمد طويلًا، وعاد الصدام بين الطرفين، وشدد اليمنيون الحصار على الحصون والحاميات العثمانية، في اليمن، حتى سقطت المدن المهمة في أيدي الإمام المؤيد بن القاسم، الذي خلف والده بعد وفاته، ولم يتمكن العثمانيون من الصمود بعد توالي الخسائر، واضطروا للاستسلام، ويسّر لهم الإمام مغادرة اليمن بحراً عن طريق المخا، فرحل غالبيتهم عام ١٠٤٥هـ/١٦٣٦م. وبهذا انتهت السيطرة العثمانية على اليمن بعد قرن من الوجود الذي لم يعرف الاستقرار، وتوطدت سلطة الدولة المركزية على كل اليمن في بيت القاسم دون منازع لعهد طويل. العمري، حسين عبد الله، **تاريخ اليمن الحديث والمعاصر (٩٢٢- ١٣٣٦هـ/ ١٥١٦- ١٩١٨م)**، ط٣، دمشق، دار الفكر، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ص ٢٣-٢٧.

(٨) جمع غراب، وهو نوع من السفن التي تستخدم في الحرب، شهاب، حسن صالح، **أضواء على تاريخ اليمن البحري**، ص ٣٤٠.

(٩) يحيى بن الحسين بن القاسم، **يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر**، تحقيق: عبد الله بن محمد الحبشي، أبو ظبي، منشورات المجمع الثقافي، ١٩٩٦م، ص ١٩١-١٩٣.

(١٠) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ص ٤٦٦.

(١١) **نفسه**، ص ١٩١-١٩٣.

(١٢) ماكرو، إريك، **اليمن والغرب ١٥٧١- ١٩٦٢**، ط٣، ترجمة حسين عبد الله العمري، دمشق، دار الفكر، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٥٣- ٥٥.

(١٣) العيدروس، **دراسات في الخليج والجزيرة العربية**، ص١٥، وبو شرب، **الخليج العربي والبحر الأحمر من خلال وثائق برتغالية**، ص ٢٩.

(14) **BL**, **IOR/H/36**, Declaration From King William of England (copy, undated attached to Company's Petition to the Admiralty. 26th Feb. 1696/7). & Charles Grey. **Pirates of the Eastern Seas**. p.130.

Patricia Risso: Cross Cultural Perceptions of Piracy, Maritime Violence in the Western Indian Ocean and Persian Gulf Region During a Long Eighteenth Century, **Journal of World History**. vol. 12. No.2. Fall 2001, p. 295-298.

(١٥) السيار، عائشة علي، **دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا**، بيروت، دار القدس، ١٩٧٥م، ص ص ٧١-٧٩، وص ١٥٦.

(١٦) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ص ٣٤٤، و ص ٤٣٥. والأمير، أمة الغفور عبدالرحمن علي، **الأوضاع السياسية في اليمن، في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، ١٠٥٤-١٠٩٩هـ/١٦٤٤-١٦٨٨م، مع تحقيق بهجة الزمن في تاريخ اليمن، للمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد**، صنعاء، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، مج٢، ص ٨٥٤.

(١٧) لوريمر، ج.ج.، **دليل الخليج، القسم التاريخي**، ج١، مكتب أمير قطر، د. ت، ص ص ٩٠-٩٢. وفوزي، فاروق عمر، **تاريخ اليعاربة في عمان، قراءة في طروحات المستشرق الإنجليزي ر. د. باثيرست**، عمان، مجدلاوي، ٢٠١٣م، ص ١٥٩.

Pellat, Ch., Imber, C.H. and Kelly, J.B., "Ḳurṣān", in: **Encyclopaedia of Islam**, Second Edition, Edited by: P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, W.P. Heinrichs. Consulted online on 16 June 2017 http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_COM_0546

& Serjeant, R. B, **Customary and Shari'ah Law in Arabian Society**, Hampshire, Variorum, 1991, p. 81. & Course, A. G,

Pirates of the Eastern Seas, London, Frederick Muller Ltd., 1966, p. 62.

(١٨) الجرموزي، **عجائب الأسماع والأبصار**، مج٢، ص ٧٦٦ وص ٨٧١، والجرافي، عبدالله بن عبدالكريم، **المقتطف من تاريخ اليمن**، بيروت، دار الكتاب الحديث، ١٩٨٤م، ص ١٧٤، والعمري، **تاريخ اليمن الحديث**، ٤٧-٥٣

(١٩) انظر مقدمة المحقق في: الجرموزي، **عجائب الأسماع والأبصار**، مج١، ص ٥٥-٦٠.

Serjeant, **Customary**..., pp. 78-79.

(٢٠) جالية من تجار الهند، اشتهروا بالتجارة والصرافة، ونشطوا منذ القدم في التجارة بين الهند وموانئ جنوب شبه الجزيرة العربية، واستوطن بعض منهم اليمن، وكانوا يدينون بالهندوسية، وكانت لهم أحياء خاصة بهم في المدن الرئيسة، مثل: عدن، والمخا وصنعاء. وأشارت المعلومات إلى تعاونهم مع البرتغاليين في أحيان عديدة، واستهدفهم الهولنديون في إطار صراعهم مع البرتغاليين في مياه المحيط الهندي. شهاب، حسن صالح، **أضواء على تاريخ اليمن البحري**، بيروت، دار العودة، ١٩٨١م، ص ص ٢٢١-٢٢٢.

Serjeant, R. B. & Lewcock Ronald, **San'a, An Arabian Islamic City**, London, The Worls of Islam Festival Trust, 1983, pp. 432-435.

(٢١) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ص ص ٢٣١ - ٢٣٣. **وبهجة الزمن**، مج٢، ص ٨٥٢.

(٢٢) المعاني، عبدالرزاق محمود، **التجارة والملاحة في الخليج العربي خلال القرن السابع عشر**، الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، ٢٠٠١، ص ص ٨٣-٩٢. وفوزي، **تاريخ اليعاربة**، ص ١٣٣-١٤٨.

(٢٣) ابن القاسم **يوميات صنعاء**، ص ١٥٥

(٢٤) **نفسه**، ص ١٧٨

(٢٥) الوزير، عبد الله بن علي، **تاريخ اليمن في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، المسمى تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى**، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، بيروت، دار المسيرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٢٥٥-٢٥٧. وابن القاسم، **بهجة الزمن**، مج٢، ٨٦٣.

(٢٦) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ص ١٩١-١٩٣. والجرافي، **المقتطف**، ص ١٧٦.

(٢٧) ابن الوزير، **تاريخ اليمن**، ص ٢٧٦.

(٢٨) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ١٩١-١٩٣.

(٢٩) ابن الوزير، **تاريخ اليمن**، ص ١٨٢- ١٨٣.

(٣٠) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ١١٧-١١٨.

(٣١) **نفسه**، ص ٣٤٤. وص ٣٥١.

(٣٢) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ١٨٥.

(٣٣) ابن الوزير، **تاريخ اليمن**، ص ٢٦١.

(٣٤) ابن القاسم، **بهجة الزمن**، مج٢، ص ٧٨٦، وص ٨١٩، وص ٨٥٢.

(٣٥) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ص ٥١، وص ٦٠. **وبهجة الزمن**، مج١، ص ٤٢٠.

(٣٦) لتفاصيل أكثر: الجرموزي، **تحفة الأسماع والأبصار**، مج١، ص ص ٥٢- ١٠٢، وابن القاسم، **بهجة الزمن**، مج١، مقدمة التحقيق: ص ص ٢٦٤- ٢٧٨.

(٣٧) الجرموزي، **عجائب الأسماع والأبصار**، مج٢، ص ص ٦٤٨-٦٤٩ وص ٩٤٨.

Grey, Charles, **Pirates of the Eastern Seas (1618- 1723)**, London, Sampson Low, Marston & Co., 1933, p. 120-122.

(٣٨) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ص ١٩٣. **وبهجة الزمن**، مج ٢، ص ص ٨٦٧-٨٦٨.

(٣٩) ابن الوزير، **تاريخ اليمن**، ص ١٨٦. وردت في النص المحقق البن، ولم تتمكن الباحثة من الرجوع للأصل للتأكد هل هي البن، أم البز (القماش)، خاصة وأن المخا في تلك الفترة كانت تصدر البن ولا تستورده.

(٤٠) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ص ١٥٥، وص ١٧٨

(٤١) ابن القاسم، **بهجة الزمن**، مج٢، ص ٨٦٨.

(٤٢) ابن الوزير، **تاريخ اليمن**، ص ١٨١.

(٤٣) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ص ٢٣٤.

(٤٤) ابن الوزير، **تاريخ اليمن**، ص ٢٥١.

(٤٥) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ص ٣٤٥

(٤٦) ابن الوزير، **تاريخ اليمن**، ص ٢٧٢.

(٤٧) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ص ٢٤٦.

(٤٨) ابن الوزير، **تاريخ اليمن**، ص ٢٥١.

(٤٩) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ص ص ١١٧-١١٨.

(٥٠) **نفسه**، ص ٣٤٤

(٥١) ابن الوزير، **تاريخ اليمن**، ص ٢٧٦.

(٥٢) الخرائط خاصة بالدراسة.